الولاء في الإسلام

ما هو؟ ولمن يكون

بقلم
دكتور
فوزي عبد العظيم سلامة محمد
مدرس بقسم العقيدة

تمهيد

لقد أكمل الله — عز وجل — دينه، وأتم رسالاته بالنبي الخاتم سيدنا محمد — ﷺ — وبما أنزل عليه من قرآن وسنة، فلا نبي بعده. وبالتالى لا رسالة ولا وحى، فيه — ﷺ — كمل الدين، ووضح المنهج، يقول تعالى: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا »[1] « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »[2]، ويقول — سبحانه — مخاطبا النبي — ﷺ — ومن آمن معه، واتبع دينه: « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون »[3].

والمتتبع لآيات الذكر الحكيم يرى أن الله — عز وجل — قد حصر الجهة التى يجب على المسلمين أن يراعوها ويتجهوا إليها بولائهم وذلك فى قوله تعالى: « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا »[4]، وبين النهاية المحتومة التى يتمتع بها من يخلصون ولاءهم لله ولرسوله وللمؤمنين، وذلك فى قوله جل شأنه: « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون »[5].

---

(١) سورة المائدة من الآية رقم ٣

(٢) سورة الأنعام من الآية رقم ١٥٣

(٣) سورة هود الآيتان رقم ١١٢، ١١٣

(٤) سورة المائدة من الآية رقم ٥٥

(٥) سورة المائدة الآية رقم ٥٦

والمسلمون الأوائل — رضوان الله عليهم — فهموا هذا التوجيه الإلهي، فحققوا من خلاله دولة إسلامية، نشأ أبناؤها على أساس من معانيه، فأصبحوا حزب الله الغالب، لكن مع مرور الزمن أدرك أعداء الإسلام، سر هذا النصر، وفهموا حقيقته، فعملوا بكل طاقاتهم الفكرية لتمزيق الكيان الإسلامي، وتوهين ولائه لله ودينه، وقد نجحوا فى هذا، فالمسلمون الآن ينتشرون فى أكثر من سبعين دولة إلا أن بعضهم قد لا يعرف عن البعض شيئا، ومع كل هذا فلا يأس فإن الخلاص معروف، وهو أن يستجيب المسلمون لنصيحة ربهم الممثلة فى قوله سبحانه : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا »[1] فيستعيدوا ثقتهم بربهم، ويمنحوه ولاءهم المطلق، ويمكنوا شرعه بينهم، ومن لا يفعل ذلك فليس من الله فى شيء.

التعريف بالولاء

جاء فى المعجم الوجيز :

(الموالاة) فقها أن يعاهد شخص شخصاً آخر، (المولى) : الرب، وكل من ولى أمراً أو قام به، والسيد، والعبد، والتابع، والمنعم، والمنعم عليه، والقريب من العصبة كالعم، وابن العم ونحو ذلك، (المولوى) المنسوب إلى المولى، والزاهد، أو العالم الكبير، (الولاء) : القرابة، والنصرة، والمحبة، (الولاية) : القرابة (الولاية) : القرابة، والخطة، والإمارة، والسلطان، والبلاد التى يتسلط عليها الوالى، (الولى) : كل من ولى أمراً أو قام به، والنصير، والمحب، والصديق، والمطيع، يقال : المؤمن ولى الله، والجمع (أولياء).

(١) سورة المائدة من الآية رقم ٥٥

(ولى العهد) : من تؤول إليه وراثة الملك ، (ولى المرأة) : من يلى عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبد بعقد النكاح من دونه ، (ولى اليتيم) : الذى يلى أمره ويقوم بكفايته .

(وفى الاقتصاد السياسى) : من يتحمل مخاطر الإنتاج ، فله الغنم وعليه الغرم ، والجمع : (أولياء) [1] .

تحديد المراد من التعريف :

مما سبق يعلم تشعب معنى الكلمة وتفرعها ... لكن إذا تجاوزنا ذلك إلى أصل اللفظ وأساسه ، نجد أنه لا يخرج عن معنى النصرة ، والرعاية ، والمحبة بين طرفين ، يظهر هذا ويبينه ما جاء فى القرآن الكريم وذلك فى مثل قوله تعالى :

— « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات » [2] .

— « فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله » [3] .

— « ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء » [4] .

---

(١) المعجم الوجيز — مجمع اللغة العربية — القاهرة مادة (ولى) ص ٦٨٢

(٢) سورة البقرة من الآية رقم ٢٥٧

(٣) سورة النساء من الآية رقم ٨٩

(٤) سورة الأحقاف من الآية رقم ٣٢

— « ولكل جعلنا موالى [1] مما ترك الوالدان والأقربون » [2] .

— « وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » [3].

— « والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » [4] .

— « وإني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقرا ... الآية » [5] قال ابن كثير : قال مجاهد وقتاده والسدى أراد بالموالى العصبة [6] .

— « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » [7] .

فمن هذه الآيات يتضح لنا جليا بعض معانى الولاء من النصرة والمحبة والقرب ، وعلى ضوء هذا المعنى سيكون بحثى هذا عن معنى الولاء .

الولاء لله (جل جلاله)

الولاء لله تعالى يكون بإسلام الوجه له سبحانه ، بحيث تتوجه إليه تعالى مشاعر الإنسان وجوارحه ، وخلجات نفسه ، وكل مايملك ، اقتداء بمن نزل عليه « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين

---

(١) قال ابن كثير عن ابن عباس : أى عصبة ، والعرب تسمى ابن العم مولى جـ ١ ص ٤٩٠

(٢) سورة النساء من الآية رقم ٣٣

(٣) سورة الأنفال الآية رقم ٤٠

(٤) سورة الأنفال من الآية رقم ٧٢

(٥) سورة مريم الآية رقم ٥

(٦) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٢

(٧) سورة الممتحنة من الآية رقم ١

لاشريك له »(١) «ومن قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين »(٢) «ومن قال الله فيه : « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى »(٣) .

هذا الولاء لله — عز وجل — لا يكون قولا باللسان فقط ، بل يشاركه العمل ويتمثل فى الانقياد التام لشريعته — سبحانه — وتنفيذ ما جاء فيها ، والذود عنها ، والمقاتلة من أجلها ، إنه تنفيذ لشرع الله — عز وجل — فلو تصادم هذا الولاء مع الأهل والعشيرة ، فيجب أن ينحاز المؤمن لله — عز وجل — ولرسوله ، فلله الاتجاه الأول والولاية الأولى ، وهذا واضح من خطاب الله — تعالى — للمؤمنين فى قوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين »(٤) ، ومعنى هذا هو إيثار حق الله تعالى ، بحيث تكون له سبحانه الوجهة الأساسية ، فإذا تعارض شيء مع هذا الاتجاه انسلخ منه المسلم ، وتسامى عليه ، ووجه وجهه لله رب العالمين .

من ثمرات هذا الولاء :

هذا الشعور إذا سيطر على المسلم وملك جوارحه هان عليه كل شيء ،

---

(١) سورة الأنعام من الآيتين رقم ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) سورة البقرة الآية رقم ١٣١

(٣) سورة لقمان من الآية رقم ٢٢

(٤) سورة التوبة الآيتان رقم ٢٣ ، ٢٤

ورخص أمامه الغالى والنفيس ، وأصبحت الدنيا لا تساوى عنده مثقال حبة من خردل ، واكتفى بالله رب العالمين خالقه . وخالق كل شيء .

وليس معنى هذا ترك الدنيا ، وعدم الاستمتاع بما فيها ، فإن هذا يرفضه الإسلام ولا يقره ، يقول الله تعالى : قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة »[1] .

مظاهر الولاء لله — عز وجل — :

مظاهر الولاء لله تعالى كثيرة متعددة أهمها ما يلى :

١ — الإيمان بالله تعالى إلها واحداً عليما حكيما خالقا قادراً ، متصفا بكل كمال منزها عن كل نقص « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[2] » ، « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا[3] » ، « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ، وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون[4] » والتعرف عليه سبحانه لا يكون إلا من خلال أسمائه وصفاته ، والتفكير فى عظيم مخلوقاته ، يقول تعالى « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء

(١) سورة الأعراف من الآية رقم ٣٢
(٢) سورة الشورى من الآية رقم ١١ .
(٣) سورة الأنبياء من الآية رقم ٢٢ .
(٤) سورة الأنعام الآيتان رقم ٥٩ ، ٦٠ .

وكيل ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير[١] » ، « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ، فذكر إنما أنت مذكر[٢] » ، « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون[٣] » ، « وفى الحديث عن أبى هريرة عن النبى — ﷺ — قال : « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة[٤] » ، قال المناوى : أى من علمها وتدبر معانيها واطلع على حقائقها ، أو من أطاقها أى أطاق القيام بحقها ، والعمل بمقتضاها ، بأن تأمل معانيها واستعمل نفسه فيما يناسبها[٥] .

كذلك يشمل الإيمان بالله تعالى ، الإيمان بما هو غيب (الذين يؤمنون بالغيب)[٦] ، من ملائكة الله — تعالى — ، وكتبه ورسله ،

---

(١) سورة الأنعام الآيتان ١٠٢ ، ١٠٣ .
(٢) سورة الغاشية الآيات رقم ١٧ — ٢١ .
(٣) سورة الروم الآيات رقم ١٩ — ٢٥ .
(٤) صحيح مسلم جـ ٨ ص ٦٣ .
(٥) انظر الهامش على صحيح مسلم جـ ٨ ص ٦٣ ط دار التحرير — القاهرة .
(٦) سورة البقرة من الآية رقم ٣ .

واليوم الآخر — بما فيه — وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير[1] » ، وفى الحديث حينما سئل النبى — ﷺ — عن الإيمان قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر[2] » وفى رواية أخرى زاد : « وتؤمن بالقدر كله[3] » . والذى لاشك فيه أن الذى يخسر هذا الإيمان يخسر وجوده فى هذه الحياة وما بعد هذه الحياة ، وبذلك يكون قد خسر كل شىء .

٢ — إظهار الطاعة لله — عز وجل — والمسارعة بإعلان العبودية :

وظيفة الإنسان فى هذه الحياة وعمله الذى وجد له ، والغاية التى خلق من أجلها هى العبادة من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده ، ومن قصر فيها فقد انتكس وأبطل غاية وجوده ، وأصبحت حياته جوفاء لا قصد فيها ولا غاية ، قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون[4] » . والعبادة فى الإسلام لها مدلول أوسع من مجرد إقامة الشعائر المعروفة كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، فهى كما يقول الإمام ابن تيمية : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة[5] » ، وعلى ذلك فهى تتمثل فى أمرين رئيسيين :

الأول : استقرار معنى العبودية — لله — عز وجل — فى النفس ،

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٨٥ .
(٢) رواه أبو هريرة من حديث طويل صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٠ .
(٣) المصدر السابق جـ ١ ص ٣١ رواه أبو هريرة من حديث طويل .
(٤) سورة الذاريات الآية رقم ٥٦ .
(٥) الفتاوى — ابن تيمية — جـ ١ ص ٢٦١ .

وذلك بأن يعلم بأن هناك عبدا يَعْبد ، وربا يُعْبد ، والكل بالنسبة له سبحانه عبيد.

الثانى : التوجه إليه سبحانه بكل حركة ، ومراعاة ذلك بأن يقوم بحفظ العقل ، والقلب والجوارح من مخالفة مراد الله - عز وجل - والتوجه بها إليه — سبحانه — والتجرد من كل شيء يخرج الإنسان من إطار العبودية الخالصة لله — عز وجل —.

بهذا وغيره يتحقق معنى العبادة ، وتصبح كل حركة من الإنسان فى هذا الكون عبادة كالصلاة وغيرها ، وذلك كتعلم المهن والعلوم المدنية التى ترتفع بالأمة الإسلامية حتى تكون خير أمة ، فى طلب هذا وتعلمه عبادة لله — تعالى — ومنفعة خاصة للإنسان ذاته ، فى الحديث القدسى : « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئا[1] ».

٣ — الاستسلام المطلق لله — عز وجل — والتوجه إليه بالكلية :

من الولاء لله — عز وجل — الاستسلام الكامل له سبحانه ، وذلك بأن يتوجه العبد بكل ما يملك من نفس وجوارحه لله — عز وجل — حتى يستقيم مع الكون الذى أتى طائعا لله — عز وجل — ، بذلك يضمن

(١) من حديث أبى ذر جندب بن جنادة — رضى الله عنه — عن النبى — ﷺ — فيما يروى عن الله تبارك وتعالى ، رواه مسلم ، وقال الإمام أحمد بن حنبل — رحمه الله — قال : ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا . انظر رياض الصالحين — النووى — ص ٨٣ .

الراحة والاطمئنان ، فينطلق فى هذه الحياة مرتكنا إلى سلطان الله — عز وجل — الذى لا يقهر ولا يغلب ، متوكلا عليه ، باذلا جهده وطاقته فى خدمة دينه ، ونفسه ، ومجتمعه ، واثقا بأنه لايخذ له أحدا ، قال تعالى: « ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدراً[1] » ، وعن ابن عباس — رضى الله عنهما — أن رسول — ﷺ — كان يقول : « اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنى ، أنت الحى الذى لا تموت ، والجن والإنس يموتون[2] » وعن أم حبيبة زوج النبى — ﷺ — قالت : اللهم امتعنى بزوجى رسول الله — ﷺ — وبأبى أبى سفيان وبأخى معاوية ، فقال النبى — ﷺ — قد سألت الله لآجال مضروبة ، وأيام معدودة ، وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئا قبل حله ، أو يؤخر شيئا عن حله ، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب فى النار ، أو عذاب فى القبر كان خيراً وأفضل[3] » . على هذا المعنى صار سلفنا الصالح — رضوان الله عليهم — فى هذه الحياة الدنيا ، واندفعوا يخوضون المعارك فى السلم والحرب على سواء فى عزيمة وإصرار وقدرة واقتدار ، ولسان حالهم ينطق « ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير[4] » ، فأيدهم الله بنصره ، وصاروا قادة للأمم ، وأسوة صادقه لمن بعدهم .

٤ — الاعتصام بالصبر فى جميع الأمور والمواطن :

إذا كان الأنبياء أشد الناس بلاء ، وعلى قدر الإيمان يكون الابتلاء كما أخبرنا الصادق المعصوم ﷺ ، فإن الصبر على ذلك يظهر الولاء لله

---

(١) سورة الطلاق من الآية رقم ٣ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٨ ص ٨٠ . (٣) المصدر السابق ص ٥٥ .

(٤) سورة الممتحنة من الآية رقم ٤ .

تعالى، فعن أنس بن رضى الله عنه — قال قال رسول الله — ﷺ — إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط[1] ، ومن هذا يؤخذ بأن الرضا والصبر فى الاسلام له ألوان ، كما أن له مقتضيات ، صبر على طاعة الله وتحمل مشاقها من عمل وجهاد ، ودعوة ، واجتهاد ... إلخ ، وصبر على النعماء والبأساء ، وقل من يصبر على النعمة فلا يبطر ولا يكفر ، وصبر على حماقات الناس وجهالاتهم وهى تضيق الصدور وصبر ، وصبر وصبر كله ابتغاء وجه الله — عز وجل — وولاء له « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم »[2] لا تحرجا من أن يقول الناس جزعوا ، ولا تجملا ليقول الناس صبروا ، ولا رجاء نفع من وراء الصبر ، ولا دفعا يأتى به الجزع ، ولا لهدف واحد غير ابتغاء وجه الله — سبحانه — وولاء له ، إنه التمسك بقول الله — تعالى — فى مخاطبته للنبى ﷺ « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم »[3] ، « واصبر على ما يقولون »[4] .

إنه الرجاء فى الله ، والثقة بالله والاعتماد على الله ، ولابد لأمة تناط بها القوامة على البشرية ، والعدل فى الأرض والصلاح ، أن تهيأ لمشاق الطريق ، ووعثائه بالصبر فى البأساء والضراء وحين الشدة ، « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس »[5] ... الصبر فى البؤس والفقر ، والصبر

---

(١) رواه الترمذى ، وقال حديث حسن ، انظر رياض الصالحين ص ٤٤

(٢) سورة الرعد من الآية رقم ٢٢

(٣) سورة الأحقاف من الآية رقم ٣٥

(٤) سورة المزمل من الآية رقم ١٠

(٥) سورة البقرة من الآية رقم ١٧٧

فى المرض والضعف ، والصبر فى القلة والنقص ، والصبر فى الجهاد والحصار والصبر على كل حال كى تنهض بواجبها ، فعن الخباب بن الأرت — رضى الله عنه — قال : شكونا إلى رسول الله — ﷺ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة ، فقلنا ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا ، فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار ، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ، مايصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ، (١) ، وعن أبى عبد الرحمن عبد الله ابن مسعود — رضى الله عنه — قال : كأنى أنظر إلى رسول الله — ﷺ — يحكى نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون (٢) وعن أبى يحيى صهيب بن سنان — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمنين ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له (٣) ،

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — ﷺ — مايزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة ، (٤) .

---

(١) رواه البخارى ، وأبو داود ، والنسائى انظر رياض الصالحين — النووى ص ٤٣

(٢) متفق عليه — المصدر السابق ص ٤١

(٣) راوه مسلم — المصدر السابق ص ٣٦

(٤) رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح

٥ — مراقبة الله تعالى وخشيته :

من ولاء العبد لله — عز وجل — علمه بأنه — سبحانه — مطلع عليه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، لاتخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، وهو معه أينما كان، يقول سبحانه : يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور »(١)، « إن الله لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء »(٢) «الذى يراك حين تقوم، وتقلبك فى الساجدين »(٣) « وهو معكم أينما كنتم »(٤).

بهذا يصير العبد فى إفاقة تامة لاينظر إلى محامد الناس له، أو ثناؤهم عليه، فهذا كله صنيع زائل لاقيمة له إلا فى دنيا الناس، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ذلك أنهم ركضوا فى جوانبها، وصاروا كالدئاب المسعورة، مراعين الخالق ناسين الخالق، مقبلين على الحطام الزائل، فاقدين الايثار والتطلع إلى ماعند الله — تعالى — .

فقلت لديهم المراقبة، وغاب عنهم الضمير، وأساس ذلك معلوم وهو مسايرة الشيطان وركبه، فألبسهم لباس القوة الزائفه، وضخم لهم من شأن أوليائه، فأوقع فى قلوبهم أنهم ذو حول وطول، وأنهم يملكون النفع والضر، وذلك ليتحقق من خلالهم الشر والفساد فى

(١) سورة غافر الآية رقم ١٩
(٢) سورة آل عمران الآيه رقم ٥
(٣) سورة الشعراء الآيتان رقم ٢١٨، ٢١٩
(٤) سورة الحديد من الآية رقم ٤

الأرض «إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين»(١).

والاسلام لا يرضى هذا لأبنائه بل يعلمهم بالله أولاو آخراً، لأن قدر الله هو الذى يصرف كل شىء، وكل أحد، وكل حادث، وكل حالة، والمؤمن من شأنه أن ينتهى مع قدر الله إلى حيث ينتهى وهو راض مستريح، وإذا انسكب هذا المعنى فى قلب المسلم ملأقلبه يقيناً وإيمانا لايخشى الناس. ولا يلتفت إلى باطلهم «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله الآيه»(٢).

«وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم»(٣).

هذه هى أهم مظاهر الولاء لله — عز وجل —، وبها يتعلق القلب بالله — عز وجل — وحده، والإنابة إليه فى كل وقت وحين، والإخلاص له فى السر والعلن، والصدق فى القول والفعل، والتوبة والاستغفار عما زل به القدم، والرضا بقضائه وقدره، وتعلق الجوارح بأوامره، والبعد بها عن نواهيه ...... إلخ.

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٧٥
(٢) سورة آل عمران الآيتان رقم ١٧٣، ١٧٤
(٣) سورة يونس الآية رقم ١٠٧

الولاء للرسول ﷺ :

والولاء لرسول الله — ﷺ — لايكون إلا بالاذعان التام لكل ما يعلنه عن ربه — جل وعلا — وبتحكيمه عليه الصلاة والسلام فى أمره كله ، ثم يمضى راضيا بحكمه مسلما لتوجيهه ، لديه الاقتناع التام ، وبذلك يتم إيمان العبد . قال تعالى « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم [١] .

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما [٢] .

وفى هذا توجيه عام للأمة الإسلامية ، بأن يقضوا بما قضى به رسول الله — ﷺ — (فالعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب) ، ومعنى تحكيم رسول الله — ﷺ — هو تحكيم شريعته ، ومنهجه ، لاتحكيم شخصه كما زعم المرتدون الذين قاتلهم الصديق — رضى الله عنه — ، يبين هذا المفهوم ويجليه هذا الموقف الرائع الدال على فهم صحابة رسول الله — ﷺ لمعنى الولاء والطاعة للرسول — ﷺ — .

ذلك أنه لما نقض مشركو مكة العهد الذى بينهم وبين المسلمين ، بإغارتهم على قبيلة خزاعة حليفة رسول الله — ﷺ وقدم عمرو ابن سالم يستنجد برسول الله — ﷺ — عزم الرسول على فتح مكة وغزو المشركين ، وأدركت قريش أنها أخطأت ، وارتكبت حمقا ، فسارعت إلى إرسال أبى سفيان لعله يفلح فى تهدئة الخواطر ، وإيقاف الحــــرب .

---

(١) سورة الأحزاب من الآية رقم ٣٦

(٢) سورة النساء الآية رقم ٦٥

وقدم أبو سفيان إلى المدينة وقصد ابنته أم حبيبة زوج رسول الله — ﷺ — .

فلما دخل عليها كان فراش رسول الله — ﷺ — مبسوطاً ، فلما تقدم ليجلس عليه طوته عنه . . فقال لها يابنية : أرغبت بي عن هذا القماش ، أم رغبت به عني ؟ فقالت له ابنته : بل هو فراش رسول الله — ﷺ — ، وأنت رجـــل مشرك نجس ، ولا أحب أن تجلس على فراش رسول الله — ﷺ — ، قال : والله لقد أصابك يا ابنتي بعدي شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله — ﷺ — ، فكلمه فلم يرد عليه شيئاً ، فكلم أبا بكر ، وعمر ، فلم يستجب له أحد »[1] .

هذا هو أبو سفيان قائد مكة ، وشيخها في الجاهلية ...... تنأى عنه ابنته وتبعد عنه فراش رسول الله — ﷺ — لأن ولاءها ليس إلا لله ولرسوله ، مع ما هو معروف من أن عواطف المرأة سريعة التأثر ، وأنها عادة ما تضعف أمام علائق الأبوة والبنوة ، ولكن الإيمان صنع من صحابة رسول الله — ﷺ — وأزواجه وأتباعه نفوساً جـــديدة ، استعلت على العواطف الإنسانية ، والنزعات البشرية ، حتى أصبحت تؤثر التبعية لله ولرسوله — ﷺ — على ما تملك من مال وأولاد حتى نفس الإنسان التي بين جنبيه .

من مظاهر الولاء للرسول ﷺ :

من دلائل الولاء للرسول — ﷺ — زيادة عـــلى ما تقدم ما يلي :

(١) انظر سيرة النبي — ﷺ — ابن هشام — جـ ٢ ص ٢٦٦ .

١ — حب النبي — ﷺ — :

حب رسول الله — ﷺ — متصل بحب الله — جلا جلاله — لاينفصل عنه ، يقول تعالى : «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم»[١] ، ولم لا؟ وقد اصطفاه الله واختاره وجعله خاتماً للنبيين ؛ فأخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الكفر إلى الإيمان ومن سوء الجهل وظلامه إلى نور العلم وضيائه ، وهذا واضح من خلال حرصه — ﷺ على أمته ، وتمسكه بإخراجهم من الكفر إلى الإيمان ، فقد كانت تصل به هذه الحالة أقصاها ، الى درجة يقول له فيها الوحي : «لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين»[٢] ، «فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا»[٣] ، يعني أتهلك نفسك يامحمد أسفا على انصراف قومك عن الإيمـــان ، وقد استمر — ﷺ — في جهاده وحرصه هذا ، يحي القلوب ، ويوقظ الضمائر ، ويدل على طريق الله — عز وجل — الموصل إلى رضوانه ، حتى آخر نفس في حياته — ﷺ — ومات ودرعه مرهونة عند يهودي .

أفلا يستحق هذا النبي الكريم ، الحب والولاء من أمته ، إن هذا أقل شيء ، ولا يكون الإنسان مؤمنا إلا إذا قـــدم حب رسول الله — ﷺ —على نفسه ووالده وولده والناس أجمعين فعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله — ﷺ — «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[٤] ، وعنه أيضاً عن النبي — ﷺ —

(١) سورة القرآن من الآية رقم ٣١
(٢) سورة الشعراء الآية رقم ٣
(٣) سورة الكهف الآية رقم ٦
(٤) صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٩

قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله . وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار»[1] ، لقد بلغ هذا المعنى مداه فى صحابة رسول الله — ﷺ — .

فقد أحبوه حباً لم تعرف له النفس البشرية نظيراً ، فها هو أنس ابن النضر عم أنس بن مالك لما سمع يوم أحد قتل رسول الله — ﷺ — قال : ما تصنعون بالحياة بعده ، موتوا على ما مات عليه رسول الله — ﷺ — ثم استقبل القوم وقال لسعد بن معاذ هذه الجنة ورب الكعبة أجد ريحها دون أحد ، وقاتل حتى قتل ، ووجده فيه بضعاً وثمانين جراحة ما بين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، هكذا بلغ حب الصحابة للنبى — ﷺ — .

ومعنى هذا كما يقول القاضى عياض — رضى الله عنه — أعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته ، وإلا لم يكن صادقاً فى حبه وكان مدعياً »[2] ، فعن ثوبان مولى رسول الله — ﷺ — أنه كان شديد الحب لرسول الله — ﷺ — قليل الصبر عنه ، فأتاه يوماً وقد تغير لونه ونحل جسمه ، وعرف الحزن فى وجهه ، فسأله رسول الله — ﷺ — عن حاله ، فقال : يا رسول الله مابى وجع غير أنى إذا لم أرك اشتقتك : واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك ، فذكرت الآخرة بحيث لا أراك هناك ، لأنى إن دخلت الجنة فأنت تكون فى درجات النبيين ، وإن أنا لم أدخل الجنة فحينئذ لا أراك أبداً ، فنزلت هذه الآية : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله

(١) المصدر السابق ص ٤٨

(٢) مختصر شعب الإيمان — البيهقى ص ٢٩

عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين »[1] ، قال الشيخ النبهاني — رحمه الله —: وهذا عام في المطيعين لله من أصحاب الرسول ومن بعدهم »[2] .

والحب الصادق له دلائل وإمارات تظهر على المحب ، وذلك من اقتداء به — ﷺ — ، واستعمال سنته ، واتباع أقواله وأفعاله ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والتأدب بآدابه ، والتخلق بأخلاقه الشريفة وإلا لم يكن محباً ، فلا محبة بدون طاعة والتزام .

٢ — تعظيم النبي — ﷺ — وتوقيره :

من مظاهر الولاء لرسول الله — ﷺ تعظيمه وتوقيره يقول تعالى: « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون »[3] ، « لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه »[4] ، والتعزير هنا : التوقير بلا خلاف[5] ، ويقول سبحانه : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً »[6] أى لا تقولوا يا محمد يا أبا القاسم ، بل قولوا يا رسول الله ، يا نبى الله ، ويقول أيضاً : « يا أيها الذين آمنوا

(١) الأنوار المحمدية من المواهب اللدينة — النبهاني — ص ٣٩٢ ، والآية من سورة النساء رقم ٦٩ .
(٢) المصدر السابق — نفس الصفحة .
(٣) سورة الأعراف من الآية رقم ١٥٧
(٤) سورة الفتح من الآية ٩
(٥) المعجم الوجيز — مجمع اللغة العربية القاهرة — ص ٤١٦
(٦) سورة النور من الآية رقم ٦٣

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون »[1] .

هذه المنزلة — منزلة التوقير والتعظيم — تعلو منزلة الحب ، إذ ليس كل محب معظما .

قال البيهقي : وهذه المنزلة أي منزلة التوقير والتعظيم فوق منزلة المحبة ، إذ ليس كل محب معظماً كمحبة الأب لولده ، والسيد لعبده من غير تعظيم بخلاف العكس »[2] ، هذا التوقير والتعظيم يكون لرسول الله ﷺ — في حياته وبعد وفاته .

٣ — التصديق بكل ما أخبر به النبي ﷺ :

ومن مظاهر الولاء للرسول — ﷺ أيضاً ، تصدق العبد بكل ما أخبر به الرسول — ﷺ — عن ربه ، وصح عنه — ﷺ — ، ولا يحق له أن ينكر حديثا لم يصل إليه علمه ، أو خالف عقله وهواه ، ذلك أنه من رحمة الله — عز وجل — بهذه الأمة أن عصمها من الاضطراب الفكري بثبات أصليه الكتاب والسنة .

أما الكتاب فقد تكفل الله بحفظه حيث قال سبحانه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[3] .

أما السنة فقد جند الله لها رجالا حفظوها من التحريف ، وأزاحوا عنها كيد الغالين المبطلين ، وبينوا الصحيح من غيره ، واتبعوا في تدوينها منهجا لا يزال مضرب الأمثال في الدقة والتحرى التثبت ، وكانوا لا يقبلون

---

(١) سورة الحجرات الآية رقم ٢

(٢) مختصر شعب الإيمان البيهقي ص٣٢

(٣) سورة الحجر الآية رقم ٩

قولا حتى يعلموا أصله ومصدره ، ولهذا أشترط الأسناد الذى تفردت به هذه الأمة عن غيرها ، الأمر الذى يجعلنا نأخذ عن هؤلاء العلماء بثقة ويقين لكل ما دونوه وأثبتوه لرسول الله ﷺ والتى بدونها لا يفهم القرآن الكريم ، ولا تستبين معالم الدين وحدوده .

وغير ذلك من مظاهر الولاء لرسول الله ﷺ فى الإسلام كثير وذلك كنصر دينه بالقول ، والفعل ، والذب عن شريعته ، و كثرة ذكره ﷺ ، و كثرة الشوق إلى لقائه ، وحب القرآن الذى أتى به ، وهدى به وأهتدى به ، وتخلق به ، ومحبة سنته ، وقراءة حديثه ... إلخ .

الولاء للإسلام :

إن مما يؤسف له أن تعلن اليهود فى كل مناسبة وعلى ألسنة زعمائها ، وفى وسائل الإعلام — المقروءة والمسموعة — أنها تحارب من أجل التوراة وأرض الميعاد ، كذلك الصليبية تعلن أنها تتحرك لنصرة مبادىء المسيح ، والشيوعية تدعى أنها تحارب من أجل تعاليم ماركس ... إلخ على حين أننا قد لا نسمع من ينادى من زعماء الإسلام أنهم يحاربون من أجل الإسلام والقرآن ... إلا من عصم الله .

وإيمان المسلم بالله سبحانه وتعالى ، وبكتبه ورسله ، وأنضواؤه تحت العقيدة الإسلامية يفرض عليه أن يعيش لهذا الدين ، وأن يحيـــا به ، ويموت به ، وأن يجعل حبه وبغضه مرتبطا بمبادىء هذا الدين ومصالحه .

وإذ كان الأستعمار قد أفلح فى إيجـــاد فجوة بين المسلم وبين دينه ومعتقده ، وجعـل الأنتماء للدين والولاء له أمراً رجعيا ، ونجحوا فى ايجاد جيل ينتمى للإسلام ويعمل فى تحقيق هذه الفكرة الباطلة ، فإنه قد آن الأوان من بدء حركة إحياء جادة لإيقاظ ولاء هذه الأمة نحو دينها ومعتقدها ، كى تستعيد مكانتها ، ويستحق لها البقاء فى الأرض وصدق

الله إذ يقول : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » (١) .

فالتمسك بالدين والولاء له حياة هـذه الأمة ورسالتها ، ومعاشها ومعادها وإختيار الله لها ، فهو شرف لماضيها وحاضرها ومستقبلها . « لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » (٢) « وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » (٣) .

[مظاهر الولاء للإسلام] :

١ — الانتماء العقائدى للإسلام لا يكون إلا بطريق العمل الحركى والفكرى عقيدة وشريعة ومنهاجا » :

إن المتأمل فى كتاب الله تعالى يرى أن الله — عز وجل — قد عاتب المؤمنين على القول دون العمل ، واستنكر ذلك منهم ومقتهم حين خاطبهم بقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » (٤) ، وبقوله :« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » (٥) ، وحين ذكرهم بهذا المثل المضروب لبيان حال اليهود — وغيرهم — حينما أنزل فيهم شرع الله

(١) سورة الحج من الآيتين رقم ٤٠ ، ٤١ .
(٢) سورة الأنبياء الآية رقم ١٠
(٣) سورة الزخرف الآية رقم ٤٤
(٤) سورة الصف الآيتان رقم ٢ ، ٣
(٥) سورة البقرة الآية رقم ٤٤

وكتابه ، فأعرضوا عن العمل بما فيه وخالفوا أمره ، فقال سبحانه : «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين ، قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين »[1].

فأولى مظاهر الولاء للدين الانتماء الكلى له ، قولا وفعلا ، ولا يعقل إطلاقا ولاء بدون تطبيق عملى لشرائع هذا الدين ، والالتزام به عقيدة ، وعبادة ، وفكراً ، وسلوكا ، بذلك يكون المؤمن كشجرة طيبة كما قال الله — سبحانه — أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، إن هذا الانتماء يضم أهل الفداء والنجدة ، ليذودوا عن العقائد والحرمات ، وليس الإيمان بالتمنى كما قال الصادق المعصوم — ﷺ — لكنه ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وإن قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحسن الظن بالله ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

٢ — الاعتزاز بالإسلام فى كل حال ، والاعتقاد أن العز والشرف فى الانتساب إليه :

أجل لقد أعزنا الله — تعالى — بالإسلام ، وبالإسلام وحده يكون طلب العز ، ومن طلب العز فى غيره أذله الله — تعالى — ، يشهد لذلك حال العرب قبل الإسلام ، وحالهم بعده جاء الإسلام فرفع أقدارهم ، وأعزهم فى العالمين ، وسوى بين غنيهم وفقيرهم ، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس ، لا فضل فيها لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وهذا لم يتأت إلا من خلال التمسك بما جاء به الوحى المعصوم ، « فاستمسك

---

(١) سورة الجمعة الآيات رقم ٥ ، ٧

بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم ، وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ، [1] ، فلو تمسكنا — بحق — وجمعنا شملنا تحت هذا المفهوم . ما نالت منـــا قوى الشر مهما بلغت من القوة والعدوان ، ولنتأمل ماقاله النبي — ﷺ — : ... إن ربى قال يامحمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لايرد ، وإنى أعطيتك لأمتك أن لاأهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا ، [2] .

والهوائم النفسية والداخلية فى الأمة من أخطر ما يهدد كيانها ، ويمزق شملها ، ويجعلها متناثرة يهلك بعضها بعضا ، والإسلام هو الشيء الوحيد الذى يجمع الشمل ويحقق ميزان العداله ، ويحى القلوب ، ويجعلها على كلمة سواء ، إنه الذى صنع المهاجرين والأنصار ، وجعل منهم المجتمع المثالى المنشود ، الذى لانظير له ولا مثيل فى المجتمعات الإنسانية جمعاء ، وهو الذى يصنع مهاجرين وأنصاراً جدداً ، وذلك إذا اتخذته الأمة الإسلامية دستوراً لحياتها ، فنادت به فى المحافل والمجتمعات ، واعتزت بالولاء له نصرة وتأييدا .

بذلك يكون الإسلام اسما على مسمى ، أما من اتخذه شعارا دون عمل جاد فمثله مثل من يقول : « الدين رب يحميه » وهو ممن قال الله فيه : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين

---

(١) سورة الزخرف الآيتان رقم ٤٣ ، ٤٤

(٢) صحيح مسلم ج٨ ص ١٧١ من حديث طويل رواه ثوبان عن النبي — ﷺ —

كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »(١)، إنه لا كرامة للإنسان إلا من خلال الاعتزاز بالدين، والاعتقاد الجازم بأن العز والشرف في الانتساب إليه، والعمل الدائب لتحقيق ذلك.

٣ - الجهاد من أجل إعلان كلمته بالفكر، واللسان، والبدن، والمال.

يواجه الإسلام - الآن - تحديات معاصرة، اختل من خلالها الفرد والجماعة، وشوه الحق حتى كاد لا يرى، وزين الباطل حتى كاد أن يظن حقا، وهذا نتيجة أتباع الشعارات الزيفة، والمسميات المغرضة، التي قصد من خلالها سلخ الإنسان من دينه، وعاداته الأصيلة التي جبل عليها من خلاله. فاختلق البديل له، وفرض عليه وهو في عقر بيته، تشويها لمعالم الإسلام.

وعلى المسلمين - الآن - مواجهة هذه التحديات بالجهاد في سبيله وإعلان كلمته والمتأمل في مصدري هذا الدين يرى أن الجهاد بالفكر يكون بالعطاء الذهني، والعقلي، والتخطيط العلمي لكل ما يخدم هذا الدين وقضاياه، والجهاد باللسان يكون بإقامة الحجة والبرهان على الأعداء ودعوتهم إلى الله، ويكون ببيان هذا الدين وشرح تعاليمه وأحكامه، ورفع الشبه والأباطيل. والجهاد بالبدن يكون ببذل النفس والتضحية من أجله، وفي سبيله، ولقد ضرب أصحاب النبي ﷺ المثل في التضحية والفداء في سبيله، والجهاد بالمال يكون بالإنفاق في سبيله عن طيب نفس، ورضا خاطر سواء أكان للفقراء، والمساكين، أو دعما للمجاهدين، أو بذلا على النفس والأهل. قال تعالى: «وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين، ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون »(٢)

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ١٧٥، ١٧٦.

(٢) سورة المنافقون الآيتان ١٠، ١١.

٤ — دعوة الناس إليه والتعاون مع العاملين من أجله :

من شواهد الولاء للإسلام التعريف به ، والدعوة إليه بين المسلمين وغير المسلمين ، وهذا لا يتأتى إلا من طريق العلم وطلبه ، فإذا ساد العلم وجد الإيمان طريقه إلى القلوب لأن العلم يهدى إلى الإيمان ، ولذلك كانت دعوة الرسول — ﷺ — للعلم جادة .

فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكر الله تعالى وماوالاه وعالما ومتعلما »[1] .

وعن سهل بن سعد — رضى الله عنه — أن النبى — ﷺ — قال لعلى — رضى الله عنه — فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم »[2] .

ومن خلال هذا يكون التعاون مع كل العاملين له فى إخلاص وود وتجاوز عن الصغائر ، والتماس الأعذار ، فى سبيل وحدة الجماعة يتنازل عن كثير ، قال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »[3] .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً »[4] .

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن انظر رياض الصالحين — النووى — ص ٦١٤

(٢) متفق عليه ، انظر رياض الصالحين ص ٦١٣

(٣) سورة المائدة من الآية رقم ٢

(٤) سورة آل عمران من الآية رقم ١٠٣

إن الولاء للإسلام حق على الأمة عامة ، وعلى العاملين له خاصة ، إنه حق متعين على الجميع يتحقق من خلال الانتماء له ، والاعتزاز ، والجهاد من أجله ، والدعوة إليه ، والعمل مع العاملين من أجله ، وتحرى مصلحته دائما ، وربط الحياة به والموت فى سبيله ، والحزن لانحساره ، والسرور لعلوه .

الولاء للمسلمين :

الولاء للمسلمين يكون نتيجة الولاء لله — عزوجل — ولرسوله الكريم ، ولدينه القويم ، وانطلاقا من هذا يكون ولاء المسلم للمسلمين. والولاء للمسلمين يكون بالحرص على كل مايهم المسلمين وينفعهم ويجلب كل خير لهم ، ويدفع كل ما يقع عليهم من مفاسد ، والوقوف معهم وفى صفوفهم حسب الطاقة والإمكان ، يجمعهم فى ذلك ولاءهم لدينهم الذى قطع عنهم أسباب الشقاق والخلاف ، وجعلهم صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وقد تحقق هذا المعنى فى المجتمع الإسلامى الأول حين دخل فيه الفارسى والشامى والهندى والمصرى والمغربى ... وسائر الأقوام والأجناس ، فلم يكن لديهم الخيرة إذا قضى الله ورسوله أمراً ، ولم تكن كذلك ولايتهم إلا لمن يؤمن بالله ورسوله ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء »[1] .

وفى هذا النداء نرى أن التجرد يكون من أى علاقة إلا علاقة الإيمان

---

(١) سورة الممتحنة من الآية رقم ١

بالله ، والولاء لدين الله وحده ، ومن آمن به هو الهدف والغاية المنشودة ولذلك نرى أن الله — عز وجل — قال فى نفس هـذه السورة ، « لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير »[1] .

أى لن تنفعكم قراباتكم عند الله إذا أراد بكم سوءاً ، ونفع هؤلاء لايصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر ولاينفعه عند الله قرابته من أحد ولو كان قريباً إلى نبى من الأنبياء »[2] .

والذى يجب الإشارة إليه هنا أنه لايكتفى فى معنى الولاية للمسلمين الانتساب إلى هذه الأمة فقط نتيجة الرباط العقدى والإيمانى ، ولكن الولاء مرحـلة تسمو على ذلك ، إنه تلاحم وتناصر وأخوة ، وهذا يتطلب تبعات وأعباء ، لأن الولاية هنا تعنى الارتباط العضوى كارتباط أعضاء الجسم تماماً ، بحيث يكون الجزء فى خدمة الكل ، والكل فى خدمة الجزء ، وتغليب مصلحة المجموع على مصلحة الفرد . وإلا تحـول معنى الولاء إلى شكل بلا مضمون ، هذا ماتفيده هذه الآيات الكريمة : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ، والذين

---

(١) سورة الممتحنة الآية رقم ٣

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٤٦

كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ، والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ، والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم »[1] .

وموطن الاستشهاد فى موضوعنا الذين آمنوا ولم يهاجروا[2] ، فأقاموا فى بواديهم ولم ينضموا للمسلمين بالمدينة — وذلك عندما كانت الهجرة واجبة — فالولاية بين المؤمنين الذين هاجروا وبينهم منفية ، مادام أنهم لم ينضموا إلى مجتمع المؤمنين بالهجرة ، لكن تبقى رابطة العقيدة والدين ، بحيث إنهم إذا اعتدى عليهم فى الدين وجب عليكم أيها المسلمون نصرهم على شرط ألا يخل ذلك بعهد من العهود المبرمة بين المسلمين وأعدائهم (إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أى عهد فهؤلاء يجب الوفاء بعهدهم ، لأن الإسلام لايبيح نقض العهود والمواثيق . وهذا يعطينا مدى أهمية الولاية والتلاحم العضوى بين المسلمين ، ومدى الوفاء بالعهود والمواثيق بينهم وبين غيرهم .

---

(١) سورة الأنفال الآيات رقم ٧٢ — ٧٥

(٢) كان المؤمنون فى عصر النبى — ﷺ — أربعة أصناف :

ا — المهاجرون الأولون أصحاب الهجرة الأولى .

ب — الأنصار .

ج — الذين لم يهاجروا .

د — الذين هاجروا بعد صلح الحديبية .

٣٠

مظاهر الولاء بين المسلمين :

١ — الأخوة والتناصر :

الأخوة الأساس الأول الذى اعتمد عليه النبى — ﷺ — فى بناء المجتمع الإسلامى الأول ، ومن خلاله صارت الأمة المؤمنة أمة واحدة « إنما المؤمنون أخوة »(١) .

وحفاظا على هذه الأخوة أظهر الإسلام للمؤمنين أشياء تتنافى مع الأخوة الصادقة ، فقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان »(٢) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله — ﷺ — « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »(٣) .

والأخوة فى الإسلام تفرض التناصر بين أبنائه ، وشد كل منهم لعضد أخيه فإذا رأى المسلم إهانة أو إساءة نزلت بأخيه المسلم ، فلا يتركه يكافح وحده ، بل يجب عليه النجدة والنصرة له حتى فى حال غيابه ، وهو بظهر الغيب .

---

(١) سورة الحجرات من الآية رقم ١٠

(٢) سورة الحجرات من الآية رقم ١١

(٣) صحيح مسلم جـ٨ ص ١٠ ، ١١

وما يقال فى التناصر والتأييد بالنسبة للأفراد ، يقال على مستوى الأمة كلها ، فالشعوب الإسلامية يجب أن تنطلق من مبدأ قول الرسول الكريم ﷺ «من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[1] .

هذا ولا يخفى علينا بأن الأخوة الصادقة تعين على طاعة الله — عز وجل — كما أنها تكافل نفسى ومادي واجتماعى ، وإحساس بحاجات الغير من المسلمين ، كما أنها أنس ومحبة وتكاتف وغيرة ووفاء .

٢ — الإيثار :

من مظاهر ولاء المسلم لأخيه الإيثار ومعناه كما قال القرطبى : هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيويه رغبة فى الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين ، وتوكيد المحبة والصبر على المشقة»[2] . وصفة الإيثار من الصفات التى قام عليها المجتمع الإسلامى الأول ، وانتصر من خلالها وكانت له القوة والمنعــة «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»[3] . وإذا ضربنا لذلك مثالا نرى فى معركة اليرموك أنه لما وقع عكرمة وأصحابه فى أرض المعركة من الجراح ، واستسقوا فجىء بماء فلما قرب إلى أحدهم سمع رجلا بجواره يئن، فأشار بدفعها الى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج مايكون إلى الماء ، فلما ذهب إلى الثانى سمع ثالثاً يردد آه آه فأشار بدفعه إلى الثالث ، فلما وصل إلى الثالث ، وجده قد مات ،فعاد إلى الثانى فوجده قد مات ، فرجع إلى الأول فوجده قد مات وماتوا جميعاولم يشربه أحد منهم رضى الله عنهم وأرضاهم[4]

---

(١) رواه الحاكم وصححه ، وخالفه الذهبي

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي جـ ٨ ص ٢٦

(٣) سورة الحشر من الآيه رقم ٩

(٤) انظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٣٩ بتصرف

ألا ترى أن هذه الصورة صارت غريبة — الآن — فى حياة المسلمين ؟.

إن هناك مظاهر أخرى من الولاء للمسلمين وذلك كالتعاون، والتآلف والتضامن، والاتحاد، ولهذه المظاهر وسائل تعمقها وذلك كإحياء مشاعر الإخوة الإسلامية التى بهتت، وتذكير المسلمين بما كان عليه أسلافهم من الحب والعطف والمودة والقرب، وتبصيرهم بمخاطر التيارات الفكرية المعاصرة، ليسعوا سعيهم لعودة الشريعة الإسلامية إلى منصة الحكم، ومقام الريادة فى بلاد المسلمين، فى ظلها يظهر كل خير ويختفى كل شر.

حكم موالاة أعداء الله

كى يكتمل مفهوم الولاء فى الإسلام، يجب أن أشير هنا إلى هذا الموضوع وهو : حكم موالاة أعداء الله. إننا نسمع الآن من يردد قائلا إن الدول الأوربية المسيحية دول كبرى متقدمة، وظروف العصر تقتضى بالضرورة التعاون، والتعامل معهم، فيما يعود على البلاد بالمصلحة ونحن نحتاج إليهم فى بعض الأحيان، ولذلك لابد وأن تتخذ لنا يداً عندهم فى السراء ننتفع بها إذا أصابنا ضر، والأيام دول.

والحق أن هذا توهم مردود، وهو امتداد للخط السلولى الذى ابتدأه عبد الله بن أبى سلول عندما اعتذر عن مسارعته واجتهاده فى الولاء لليهود والاستمساك بحلفه معهم، وقال : إنى رجل أخشى الدوائر. يعنى أخشى تقلبات الزمن، فقد تدور علينا الدوائر، وأن تنزل بنا شدة،، هذا الخط يظهره الله تعالى فيقول : « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة »[1] وهذا دليل على عدم إيقانهم بنصر الله، وإظهار دينه، كما أنه دليل على ضعف الإيمان وعدم الثقة فى الله

---

(١) سورة المائدة من الآية ٥٢

— تعالى — وهذا دأب المنافقين فى كل زمان، وهاهو الواقع المشاهد يؤيد ذلك، فقد جرب المسلمون الاستغاثة بالشرق أو بالغرب، ولم يجدوا من ذلك معيناً، فبقى عليهم بعد ذلك أن يجربوا الاستعانة بالله — عز وجل — وسوف يجدونه نصيراً ومعيناً، «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز»(١)

لذلك نرى الحق — جل وعلا — هدد هؤلاء الذين يرتدون عن دينه بالولاء لأهل الكتاب ويتنصرون بهم، إن فعلوا ذلك، فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه، يتولونه وحده ويتنصرون به: يقول تعالى «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم، إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون»(٢) فما أروع هذه الحقيقة القرآنية وذلك فى حالة الاختيار والقوة، أما فى حالة الخوف والتقية فقد رخص الله ذلك بقدر المداراة التى يكتفى بها شرهم يقول سبحانه «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة»(٣)

ويشترط فى ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة كما هو مفهوم، يقول ابن كثير: «إلا أن تتقوا منهم تقاة» أى إلا من خاف فى بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما قال البخارى

---

(١) سورة الحج من الآية ٤٠

(٢) سورة المائدة الآيات رقم ٥٤ - ٥٦

(٣) سورة آل عمران من الآية ٢٨

عن أبي الدرداء أنه قال « إنا لنهش في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم » وقال الثوري: قال ابن عباس ليس التقية بالعمل ، التقية باللسان »[١] . أما ماوراء ذلك فغير مسموح له حتى في الأقرباء ، حيث قال سبحانه « ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون »[٢]

هذا فيما يتعلق بالولاء الذي بمعنى التناصر : أما فيما يتعلق بالتعامل وإقامة العلاقات وحسن الجوار ، فهذا لايمنعه الإسلام ، والمسلم مأمور دينا بالسماحة ، وحسن المعاملة مع أهل الكتاب ومع غيرهم يقول سبحانه : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه »[٣] ، ويقول أيضا : « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »[٤] . ويقول : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان »[٥]

والخــــلاصة :

أن موالاة غير المسلمين إما أن تكون بمعنى المسالمه وحسن الجوار ، والمعاملة الطيبة وتبادل المنفعة فهذا مما دعا إليه الإسلام .

وإما أن تكون بمعنى المناصرة والمحالفة والرضا بماهم فيه من كفر .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ صـ ٣٥٨

(٢) سورة التوبة الآية رقم ٢٣

(٣) سورة التوبة من الآية ٦

(٤) سورة الممتحنة الآية ٨

(٥) سورة المائدة من الآية ٥

فهذا يدفعه الإسلام ويمنعه، إلا في حال الخوف من أذاهم، فيجوز ذلك ظاهراً دون ميل قلبي إلى أن يتمكن المسلمون من إعادة قواهم كي يدفعوا هذا التقهقر، «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»[1]

نسأل الله — ذا الجلال والإكرام — بأن لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا،

هذا وبالله التوفيق ؟

(١) سورة الأنفال من الآية ٦٠